# شذرات اجتماعية

## فى آداب السلوك :

### بين الحقوق والواجبات

لو أن كل أحد يدرك الواجب فيؤديه على وجهه ويعرف الحق فيتركه لصاحبه لذهبت مساوئ الحياة وصفت مشاربها ، ولكن الناس كالظباء النافرة ، لايستمتع بمحاسنها إلا حيث تكون فى متناول الأبصار ، وهى لاتكون فى متناول الأبصار إذا بقيت من نفارها طليقة تفعل ماتشاء وتذهب كيف تشاء .

وقد تتعين الحقوق والواجبات بتشريعات تضبطها وتقيم معالمها فيرجى حينئذ أن تستقيم على الطريق السديدة والنهج الواضح ، ولكن القانون لايصيب طاعته فى القلوب ، ولا يطبع النفوس من قرب على هذه الطاعة ، فان وراءه شيئا آخر هو الذى ينشئ الطباع ويوجه الى الطاعات ، وهذا الشيء الآخر هو التربية .

وليس العلم من التربية فى شيء ، ولكنه وإياها يجتمعان ويفترقان ، وهو جدير أن يكون هكذا حين يكون علما خشنا غليظا تستوعبه العقول ولا تستوعبه الأرواح ، فاذا رأيت من صاحب العلم الغزير طغيانا على الحق ونكولا عن الواجب فلا تظلم العلم بقسوة الحكم عليه وسوء الرأى فيه ، ولكن أندب فى مثل هذا الصاحب هداية الخلق الشارد والتربية النائهة .

وإنك لتجد فى طريقك من دلائل هذه الحقيقة مالا يحصى ، فأنت تقبل على الترام أو الأومنو بيس اتركبه فاذا ذراعان تمتدان من حيث لاتعلم فتدفعانك يمينا وشمالا حتى إذا تبينت الأمر وجدتهما ذراعى آدمى وجيه الثوب عريض القفا يريد أن يسبقك الى ما أنت مقبل عليه وقد كان لولا فقره إلى أدب السلوك جديرا أن يرعى هذا الأدب الواجب ويرعى حقك فيه .

وإماطة الأذى عن الطريق عبادة فى رأى الدين لها ثوابها عند الله ، وهى أحل لأن تكون فضيلة فى نظر العقل السليم والعرف المحمود ، ولكنها أصبحت فيما يشبه الاجماع وظيفة تؤديها مصلحة التنظيم بهذه المكانس التى تضعها فى أيدى الكناسين ، غير أنه إذا كان هؤلاء الكناسون قد ذهبوا بالثواب المنتظر والفضيلة المطلوبة يستمتعون بهما وحدهم فلا

أقل من أن يكف الآخرون أنواههم وأيديهم وأنوفهم أيضا عن تقذير الطريق بما يلقونه عليها وهم قاصدون أو غافلون ، فان أيسر ما فى ذلك من الحير أن يكف بعضهم عن بعض أذى الأوساخ والفضلات التى تنشرها الأيدى هنا وهناك ، وأن لا يعترض بعضهم بعضا للعدوى بما فى سوائل الأنوف والأفواه من المكروبات والجراثيم .

وفى الأمكنة العامة كالحدائق والأندية وما إليها تتضاعف البلوى كلما غفل الناس عما يجب لهذه الأمكنة من آداب وحقوق ، فالحدائق هى الملاذ المرجو لمن تضيق صدورهم بضجة المدينة وعكر الجو فى أرجائها ، ففى الحدائق تظفر الأبصار بما أسبغ الله على كونه من جمال وحسن ، وفيها تسترد الأعصاب سكينتها الشاردة ، وتأنس العقول الى راحتها المكدودة ، وتستجمع الأرواح صفاءها المبدد ، وهى مع ذلك بهجة الأطفال وقرة عين النساء والرجال ، ولكن أكثر الناس يجحدون نعمتها فلا يرعون حقها ، ويقسون عليها فلا يمنعون عنها أذاهم ، فهنالك حيثما دخلت حديقة من هذه الحدائق أوشكت أن تسمع شكوى الأطيار وبكاء الأزهار ، ونحيب الماء وعويل الهواء ، بجيعة وألما لما يصيبها من تكدير وتحطيم ، وهم عظيم .

وفى بعض الأغنياء عناد لقدر الله فى كل من عجزوا عن أن يكونوا أغنياء مثلهم ، وأظهر مايكون هذا العناد إذا كان هؤلاء الأغنياء فى ميعة الصبا ونضرة الشباب ، فاذا اجتمع لهم الفراغ مع الشباب راحوا يطلقون على سواهم من طاق مفتوح فى الهواء ، ثم لا يرضيهم منه إلا أن يشد أهداب عينيه إلى أرجل الكراسى التى تحملهم بين الملأ الأعلى إذا شاء أن يراهم ليتقى الصواعق والرجوم ، هؤلاء هم الطائشون المغامرون الذين يطيرون فوق أرض الله بسيارات يسوقونها سوق الريح ، ويكون على من يريد الحياة أن يخلى الطريق أمامهم قبل أن يعلم أنهم مقبلون مع البرق ، فان تركوه بالصدمة الخاطفة عجينة من لحم وعظم ودم فهو المخطئ وهم المصيبون ، لأنه هو الماشى على رجليه وهم الراكبون الطائرون ! . .

ما حيلة القانون ورجاله فى هؤلاء كلما مروا كغمضة العين أو هبة الريح فلم يتركوا شيئا يدل عليهم غير ضحكات المجنون القاتل من مصرع فريسته وراء ظهره ؟ ليست الحيلة هنا حيلة القانون ورجاله ، بل ليست حيلة أى شئ آخر غير الواجب يوقظ الحس الانسانى فى النفوس ، وغير الحق يملأ جلاله القلوب رهبة وخشوعا .

وقد انتهينا من التجربة إلى أن الحق عند الأكثرين منا لا يزال مقعدا أشل ، فهو لا يجد يدا يدفع بها عن نفسه ولا رجلا يمشى بها إلى غايته ، فلا بد للحق من عكاز يعتمده وعجلة يكتر بها ، وإلا فالناس عنه لاهون أو به لاعبون .

ثم انتهينا من الامتحان إلى أن الواجب عند هؤلاء الأكثرين لا يزال أعمى أصم ، فلا عين تهديه الطريق ولا أذن تنقل إلى إدراكه ما لا بد أن يسمعه .

والذى نريد أن نقوله إن الحق والواجب كليهما يقوم فى النفوس عند التقدير على هذه الصورة ، وما داما كذلك فبعيد أن يلتفت اليهما إلا الأقلون ، أليس فى الإلتفات إلى المقعد الأكتع أو إلى الأصم الأعمى مشقة الرثاء له والعطف عليه ؟

اليك مثلا أصناف الأغذية التى تعرض فى الأسواق والحوانيت ؟ والتى يطوف بها الباعة فى الطرق والشوارع ، فهلا ترى أن الواجب وحده قادر حينما تراعى حرمته على أن يصون هذه الأغذية مما يلوثها به الهواء والتراب ووسخ الأيدى وقذر الملابس ؟ ولكن الجزار لا يدرك هذا الواجب من نفسه فهو لا يفعله ، والبقال لا يفعله وإن أدركه ، وبائع اللبن لا يكاد يسمع خبره حتى يحتال للفرار منه بألف حيلة ، وهكذا يطرد القياس ويعم الحكم ، حتى بعد أن وضعت القوانين واللوائح لحمل هؤلاء وأمثالهم على معرفة الواجب وتأديته اصبحت عين المراقبة والتنفيذ أطول نوما عنه ممن كان تفريطهم فيه سبب هذه اللوائح والقوانين .

ونخشى إذا شئنا أن نستقصى من شؤون الاجتماع العام كل ما يفسده التفريط وتعم اضراره باهماله والاستخفاف به أن نطيل فى أمور يكتفى فيها القارئ بالمثال أو المثالين ليتذكر بهما ما سكتنا عنه ليقيس عليهما ما لم نطل ببيانه .

إن الحياة فى القرية الصغيرة والبلد الكبير والمدينة المستفيضة العمران شركة بين أهلها فكما يكون من الأمانة أن يحفظ الشريك فى أى شىء لشركائه الباقين حقوق المصلحة المشتركة وآداب المعاملة المتبادلة كذلك من الأمانة أن يحفظ شريك الإقامة فى الوطن الأصغر أو الوطن الأكبر لإخوانه المواطنين جميعا مثل هذه الحقوق والآداب .